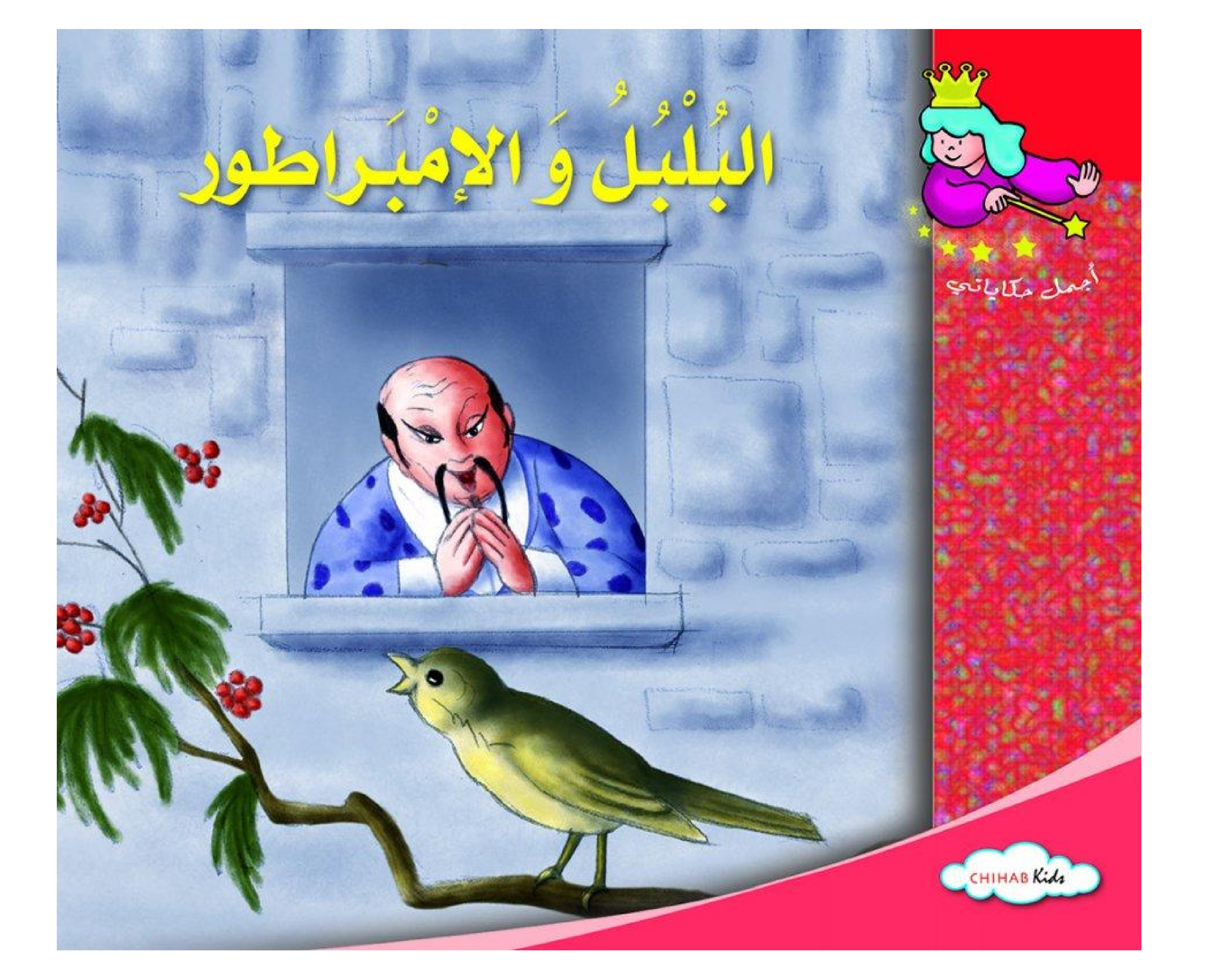

البُلْبُلُ وَ الإِمْبَراطور
أجمل حكاياتي
CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

البُلْبُلُ وَ الإِمْبَرَاطُورُ



مقتبسة من حكايات هانس كريستيان أندرسن

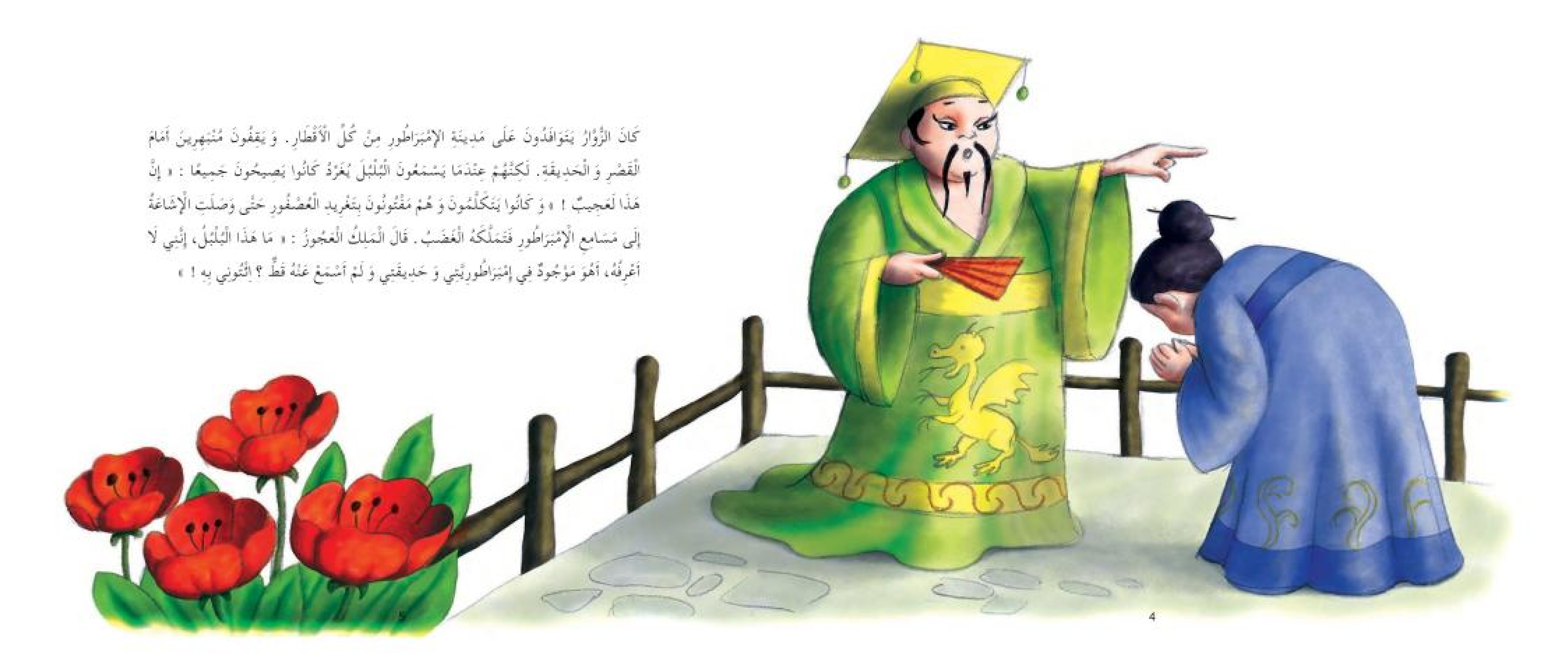
رسوم : منصور عموري



كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ إِمْبَرَاطُورٌ صِينِيٌّ يَعِيشُ فِي أَجْمَلِ قَصْرٍ فِي الدُّنْيَا. وَ كَانَتْ حَدِيقَتُهُ تَحْتَوِي عَلَى أَجْمَلِ الزُّهُورِ وَ أَغْرَبِهَا. وَ عَلَى أَحَدِ أَغْصَانِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ مُزْهِرَةٍ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ أَقَامَ بُلْبُلٌ عُشَّهُ. وَ كَانَ لِهَذَا الْبُلْبُلِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ، لِدَرَجَةِ أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَسْمَعُهُ فِي الْجِوَارِ يَتَوَقَّفُ عَنِ الْعَمَلِ لِيُنْصِتَ لِشَدْوِهِ.



كَانَ الزُّوَّارُ يَتَوَافَدُونَ عَلَى مَدِينَةِ الإِمْبَرَاطُورِ مِنْ كُلِّ الأَقْطَارِ. وَ يَقِفُونَ مُنْبَهِرِينَ أَمَامَ الْقَصْرِ وَ الْحَدِيقَةِ. لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا يَسْمَعُونَ الْبُلْبُلَ يُغَرِّدُ كَانُوا يَصِيحُونَ جَمِيعًا : « إِنَّ هَذَا لَعَجِيبٌ ! » وَ كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ وَ هُمْ مَفْتُونُونَ بِتَغْرِيدِ الْعُصْفُورِ حَتَّى وَصَلَتِ الإِشَاعَةُ إِلَى مَسَامِعِ الإِمْبَرَاطُورِ فَتَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ. قَالَ الْمَلِكُ الْعَجُوزُ : « مَا هَذَا الْبُلْبُلُ، إِنَّنِي لَا أَعْرِفُهُ، أَهُوَ مَوْجُودٌ فِي إِمْبَرَاطُورِيَّتِي وَ حَدِيقَتِي وَ لَمْ أَسْمَعْ عَنْهُ قَطُّ ؟ اِئْتُونِي بِهِ ! »





تَمَّتْ تَحْضِيرَاتٌ غَيْرُ عَادِيَةٍ فِي الْقَصْرِ لِاسْتِقْبَالِ الْمُطْرِبِ الشَّهِيرِ. لُمِّعَتْ جُدْرَانُ وَ مُرَبَّعَاتُ الْخَزَفِ الصِّينِيِّ بِأَشِعَّةِ مِائَةِ أَلْفِ مِصْبَاحٍ ذَهَبِيٍّ. وَ فِي الْقَاعَةِ الْكُبْرَى حَيْثُ كَانَ يَجْلِسُ الْمَلِكُ، وُضِعَ مَجْثَمٌ مِنْ ذَهَبٍ لِاسْتِقْبَالِ الْبُلْبُلِ.

تَعَلَّقَتِ الْأَبْصَارُ كُلُّهَا بِالْعُصْفُورِ الرَّمَادِيِّ الصَّغِيرِ، الَّذِي كَانَ يُغَرِّدُ بِطَرِيقَةٍ عَذْبَةٍ وَ سَاحِرَةٍ حَتَّى نَزَلَتِ الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَيِ الْإِمْبَرَاطُورِ. نَعَمْ سَالَتِ الدُّمُوعُ عَلَى خَدَّيِ الرَّجُلِ الْعَجُوزِ وَ الْبُلْبُلُ يُغَرِّدُ أَعْذَبَ فَأَعْذَبَ. كَانَ شَدْوُهُ يَصِلُ أَعْمَاقَ الْقُلُوبِ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ. وَ أَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا تَتَكَلَّمُ عَنِ الْعُصْفُورِ الْعَجِيبِ الَّذِي صَارَ لُؤْلُؤَةَ الْمَمْلَكَةِ.

فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ تَلَقَّى الْإِمْبَرَاطُورُ عُلْبَةً كَبِيرَةً تَحْتَوِي عَلَى بُلْبُلٍ آلِيٍّ. وَ كَانَ هَذَا الْبُلْبُلُ مُغَطًّى بِالْمَاسِ وَ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ وَ الْأَزْرَقِ، كَانَ جَمِيلًا جِدًّا وَ شَدِيدَ الشَّبَهِ بِالْبُلْبُلِ الْأَوَّلِ، كَمَا كَانَ جَيِّدَ التَّغْرِيدِ، إِلَى دَرَجَةِ أَنْ رَغِبَ الْجَمِيعُ فِي أَنْ يَسْمَعُوا الْاِثْنَيْنِ يُغَنِّيَانِ مَعًا. وَ هَكَذَا كَانَ. غَيْرَ أَنَّ أَدَاءَ الثُّنَائِيِّ جَاءَ نَشَازًا، لِأَنَّ الْبُلْبُلَ الْحَقِيقِيَّ كَانَ يُغَرِّدُ حَسَبَ إِلْهَامِهِ الطَّبِيعِيِّ بَيْنَمَا كَانَ الْآخَرُ مُلْتَزِمًا بِحَرَكَةِ الْآلَةِ. تُرِكَ الْعُصْفُورُ الْاِصْطِنَاعِيُّ يُغَنِّي وَحْدَهُ، وَ نَالَ نَجَاحًا مُمَاثِلًا لِلْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، بَلْ رَاقَ أَكْثَرَ لِلْعُيُونِ لِأَنَّهُ كَانَ يَلْمَعُ بِتَوَهُّجِ أَحْجَارِهِ الْكَرِيمَةِ.





وَ هَكَذَا غَنَّى ثَلاثًا وَ ثَلاثِينَ مَرَّةً نَفْسَ الْمَقْطَعِ بِدُونِ أَدْنَى تَعَبٍ. وَ مِنْ شِدَّةِ الْإِعْجَابِ بِهِ تَمَّ طَرْدُ الْبُلْبُلِ الْحَقِيقِيِّ، وَ نُبِذَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ كُلِّهَا. وَ أَخَذَ الْبُلْبُلُ الاصْطِنَاعِيُّ الْمَكَانَ الشَّرَفِيَّ عَلَى مِنْضَدَةٍ صَغِيرَةٍ مُبَرْنَقَةٍ قُرْبَ سَرِيرِ الْإِمْبَرَاطُورِ. دَامَ الْحَالُ سَنَةً كَامِلَةً. غَيْرَ أَنَّهُ فِي إِحْدَى الْأُمْسِيَاتِ بَيْنَمَا كَانَ الْعُصْفُورُ الْآلِيُّ يُغَنِّي بِأَعْذَبِ مَا لَدَيْهِ، وَ بَيْنَمَا كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ يُنْصِتُ لَهُ فِي سَرِيرِهِ بِمُتْعَةٍ سَمِعَ فَجْأَةً : « كْرَكْ » « تُمْ » « بْرْ. زْرُووووو » ؛ لَقَدِ انْفَلَتَتْ كُلُّ حَلَقَاتِ الْبُلْبُلِ الْإِصْطِنَاعِيِّ وَ تَوَقَّفَتِ الْمُوسِيقَى فَجْأَةً.

كَانَتِ الْآلَةُ الْجَمِيلَةُ قَدْ صَدِئَتْ. يَا لِلْحَسْرَةِ ! لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ بَعْدَهَا غِنَاءَ الْعُصْفُورِ الْآلِيِّ قَطُّ.



بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ، عَاشَ الْبَلَدُ أَلَمًا عَمِيقًا ؛ كَانَ الصِّينِيُّونَ يُحِبُّونَ إِمْبَرَاطُورَهُمْ كَثِيرًا ؛ لَكِنَّهُ مَرِضَ ذَاتَ يَوْمٍ وَ قِيلَ إِنَّهُ عَلَى وَشْكِ الْمَوْتِ. بِسُرْعَةٍ تَمَّ تَعْيِينُ إِمْبَرَاطُورٍ جَدِيدٍ، وَ اجْتَمَعَ كُلُّ الشَّعْبِ فِي السَّاحَةِ لِمُبَايَعَتِهِ. وَ كَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ الْمُقَالُ يَرْقُدُ شَاحِبًا وَ بَارِدًا فِي سَرِيرِهِ الْكَبِيرِ الْفَاخِرِ. كَانَ يَتَنَفَّسُ بِصُعُوبَةٍ وَ يَشْعُرُ بِالضِّيقِ وَ كَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَمْشِي عَلَى صَدْرِهِ. فَتَحَ عَيْنَيْهِ وَ رَأَى الْمَوْتَ جَاءَ لِيَأْخُذَهُ. شَعَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ وَ أَحَسَّ أَنَّ سَاعَتَهُ الْأَخِيرَةَ قَدْ حَانَتْ.



وَ فَجْأَةً، تَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ عَبْرَ النَّافِذَةِ تَغْرِيدٌ عَذْبٌ ؛ كَانَ بُلْبُلُ الْغَابَةِ الصَّغِيرُ يُغَنِّي فَوْقَ غُصْنٍ. وَ كَانَ قَدْ سَمِعَ بِمَرَضِ الْإِمْبَرَاطُورِ فَأَتَى حَامِلًا لَهُ الْأَمَلَ وَ الْمُوَاسَاةَ، وَ تَفَنَّنَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ فِي أَدَائِهِ بِأَعْذَبِ وَ أَلْطَفِ مَا يُمْكِنُ إِلَى دَرَجَةِ أَنْ زَالَتِ الرُّؤَى الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ الْإِمْبَرَاطُورِ. وَ كَمَا لَوْ كَانَ سِحْرًا، اِسْتَرْجَعَ الشَّيْخُ قُوَاهُ بِسُرْعَةٍ وَ قَالَ : « شُكْرًا يَا عُصْفُورِي السَّمَاوِيَّ الصَّغِيرَ، لَقَدْ طَرَدْتُكَ فِي الْمَاضِي وَ مَعَ ذَلِكَ أَزَلْتَ بِغِنَائِكَ الْوُجُوهَ الْقَبِيحَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحُومُ حَوْلَ سَرِيرِي. كَيْفَ لِي أَنْ أُكَافِئَكَ ؟! »

قَالَ الْبُلْبُلُ : « لَقَدْ سَبَقَ وَ أَنْ كَافَأْتَنِي، لَقَدْ جَعَلْتُكَ تَذْرِفُ الدُّمُوعَ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ غَنَّيْتُ لَكَ وَ كَانَتْ تِلْكَ الدُّمُوعُ بِالنِّسْبَةِ لِي لَآلِئَ وَ لَنْ أَنْسَى ذَلِكَ أَبَدًا. اِسْمَحْ لِي بِالْحُضُورِ إِلَى جَانِبِكَ مَتَى أَشَاءُ، سَأُغَنِّي لَكَ سَعَادَةَ وَ بُؤْسَ الْمُتَأَلِّمِينَ، وَ الْخَيْرَ وَ الشَّرَّ وَ كُلَّ مَا لَا تَعْرِفُهُ ، لِأَنَّ الْعُصْفُورَ الصَّغِيرَ يَطِيرُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَ يَرَى كُلَّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَرَاهَا ؛ لَكِنْ عِدْنِي بِشَيْءٍ وَاحِدٍ : لَا تَقُلْ لِأَحَدٍ أَنَّ لَكَ عُصْفُورًا صَغِيرًا يُبَلِّغُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ. ثِقْ بِي فَذَلِكَ أَحْسَنُ ».



وَطَارَ الْبُلْبُلُ الصَّغِيرُ بَعِيدًا، وَبَعْدَ لَحَظَاتٍ دَخَلَتِ الْحَاشِيَةُ وَالْخَدَمُ لِيُلْقُوا آخِرَ نَظْرَةٍ عَلَى الْإِمْبَرَاطُورِ الرَّاحِلِ، لَكِنَّهُمْ وَقَفُوا مَشْدُوهِينَ عِنْدَمَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْأَخِيرُ بِبَسَاطَةٍ : « مَرْحَبًا ! »